ومعرفةُ مثل هذا أنْفع من حفْظ الألفاظ المجرّدة وتقليد اللغة مَنْ لم يكن فقيهاً فيها .

وقد يلهج العربُ الفصحاء بالكلمة الشاذّة عن القياس البعيدة من الصواب حتى لا يتكلّموا بغيرها ويَدَعوا المُنْقاس المطّرد المختار ثم لا يَجبُ لذلك أن يُقالَ : هذا أفصحُ من المتروك .

من ذلك قول عامة العرب : إيش صنعت يريدون أي شيء ولا بشانيك يعنون لا أب لشانيك .

وقولهم : لا تبل أي لا تبالي .

ومثل تركهم استعمال الماضي واسم الفاعل : من : يَذَر ويَدَع واقتصارهم على : تَرَك وتارك وليس ذلك لأن (تَرك) أفصحُ من وَدع ووذر وإنما الفصيح ما أَفْصَحَ عن المعنى واستقام لفظهُ على القياس لا ما كثُر استعمالهُ .

انتهى .

ثم قال ابن دَرَسْتويه : وليس كُلُّ ما ترك الفصحاءُ استعماله بخطأ فقد يتركون استعمالَ الفصيح لاستغنائهم بفصيحٍ آخر أو لعلّة غير ذلك .

انتهى .

الفصل الثاني في معرفة الفصيح من العرب .

أفصحُ الخَلْق على الإطلاقَ سيدُنا ومولانا رسول اللّهحبيب رب العالمين جلّ وعلا قال رسول اللّه : (أنا أفصحُ العرب) وأصحابُ الغريب ورَوَوْه أيضاً بلفظ : (أنا أفصَحُ من نَطق بالضاد بَيْدَ أني من قريش) وتقدم حديث : (أن عمر قال : يا رسول اللّه ما لَكَ أفْصحنا ولم تخرج من بين أظْهُرنا . .) الحديث .

وروى البَيْهَقي في شعب الإيمان عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي : (أن رجلاً قال : يا رسول اللّه ما أفْصَحَك ! فما رأينا الذي هو أعْرَبُ منك .

قال : حقّ لي فإنما أُنزل القرآن عليّ بلسانٍ عربيٍّ مبين) وقال الخطابي : اعلم أن اللّهَ لما وضعَ رسولهموضع البلاغ من وَحْيه ونَصَبه مَنْصب البيان لدينه اختار له من اللغات أعربَها ومن الألْسُن أفصحَها وأبينَها ثم أمدّه بجوامع الكَلم .

قال : ومنْ فصاحته أنه تكلّم بألفاظ اقْتَضَبَها لم تُسْمَع من العرب قبله ولم توجد في مُتقَدّم كلامها كقوله : (مات حَتْف أَنْفه) (وحَميَ الوطيس) (ولا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحر مرّتين)